فى الأسرة المصرية :

الفتاة والزواج

للدكتور على فؤاد بك

مدير قسم المسائل الصحية بوزارة الصحة

فتاة اليوم هى صاحبة الدور الرئيسى فى إنشاء كيان حياتنا الاجتماعية المقبلة ، وعليها يتوقف إلى حد كبير ما نروم من إصلاح وتحسين للأسرة المصرية .

فالسيدة قد قطعت شوطها ونهجت فى الحياة نهجا خاصا قد يتعذر عليها — إلا إذا تذرعت بقدر عظيم من الشجاعة والإقدام — أن تتركه وتقلب أوضاعا ألفتها وتعدل عن عادات درجت عليها منذ بداءة حياتها الزوجية .

أما الفتاة فالرجاء عظيم فى أن تسلك فى مستهل حياتها المقبلة سبيلا قويما يعود عليها وعلى زوجها وعلى أخلافها وأعقابها ، بل على أمتها جميعا بالخير والبركات .

فتيات مصر نوعان : ريفيات وحضريات . أما الريفيات فلا حاجة بنا إلى الإطالة فى الكلام عنهن ، فهن مخلدات إلى الحياة المنزلية الساكنة ولا يجدن من الملاهى وغيرها ما يصرفهن عن واجباتهن التى تعودن القيام بها كما فرضت عليهن فى هذه الحياة .

وأما الحضريات ومن يقتدين بهن من القرويات فقد أصبحن الشغل الشاغل للقائمين بإصلاح المجتمع المصرى .

وأول ما ينبغى أن نعنى به هو التعرض لتلك السنة الخطرة التى بدأت تعتنقها بعض الفتيات المهذبات وهى عدم التورط فى الزواج ، على حد تعبيرهن ، بدعوى أن طبيعتهن الحرة الطليقة لا تحتمل أسر الزوجية وقيودها المرهقة . أو بحجة أنهن يقمن للمجتمع بخدمات جليلة قد لا تتفق مع واجبات الزواج وحدودها ، كأن تكون الواحدة منهن طبيبة أو مدرسة أو كاتبة أو عاملة أو نحو ذلك ، أو بحجة تعذر الوصول إلى زوج صالح تتفق أهواؤه وأهواؤها ، وهى مادامت فى سعة من العيش بمرتبها فلا ترى نفسها فى حاجة إلى عائل .

ونصيحتى إلى كل فتاة من هذا الطراز أن تبادر إلى العدول عن هـذا السبيل الخاطئ وأن تضع نصب عينيها أن مهمتها الأولى فى الحياة تنحصر فى البيت وتربية الأطفال ، فإذا اتسع أمامها المجال بعد ذلك فلها أن تستغله فيما تشاء من عمل فى الخارج .

وأكبر الظن أن الجمع بين المهنة والزواج ليس فيه أى حرج . والأمثلة على هذا كثيرة . وقد لاحظت فى خلال خدمتى الطويلة أن للطبيبة أو المدرسة المتزوجة احتراما وثقة فى نفوس من تتعامل معهم لا يظفر بهما سواها . فالزواج يا فتاتى العزيزة ليس حرفة أو تسلية يمكن الاستعاضة عنها بغيرها ، بل هو واجب مقدس مفروض علينا جميعا نحو الله والوطن ، فضلا عما فيه من استجابة لدوافع جسمانية ملحة لا يمكن كبتها على الدوام وقد يترتب على عدم إشباعها التورط فيما نعيذ فياتنا من الوقوع فيه من مخاز وشناعات .

أيتها الفتاة المصرية الكريمة : نصيحتى إليك أن تعملى جاهدة على الزواج مهما سما مركزك وانبسط رزقك ونعم عيشك . وما ينبغى أن يصدك شىء عن بلوغ هذا الغرض الأسمى ، بل يجب أن تسعى إليه حتى يتسنى لك أن تتبوئى مركزك اللائق بك بين أترابك وأن تؤدى رسالتك فى الحياة .

وإذا غرك ما أنت فيه الآن من رونق الشباب ونضارته فانصرفت بهما عن الحاجة إلى الزواج ، ففكرى جيدا فيما تؤول إليه حالك عند ما ينضب معين فتونك وتتقدم بك الاعوام ، وتشرفين على خريف الحياة فلا تجدين إلى جانبك زوجا يأخذ بيدك ولا ابنا يواسى وحدتك ويجلو صدأ وحشتك ، وإذ ذاك تندمين ولات ساعة مندم — أنت الآن فى بهاء الربيع وزهره ونسيمه ونوره ، وفى بهجة الصبا ومرحه وسروره ، ولكن لا تنسى أن الأيام لا بد أن تدور دورتها وأنك سوف تبلغين أمسية الشتاء حيث البرد والعبوس والظلام ، وحيث الوحشة والقطيعة والسقام . فالبدار البدار إلى الزواج .

على أننى لا أريد بهذا القول إن ألقى التبعة كلها على عاتق الفتاة وأرميها بالتمرد على الزواج فإن للشاب نصيبه الكبير من المسئولية . ذلك لأنه قد بدأ ينظر إلى الزواج بمنظار أسود حتى اختلط عليه الأمر وأخطأه الصواب . فترى البعض يتغالى فى شروطه : فلا يقبل إلا الفتاة المتناهية فى الجمال والثقافة مع أن مستواه دون ذلك ، والبعض يود أن يتخذ من الزواج مطية لبلوغ مآرب وأطماع ، فتراه قبل أن يعرف شخصية الفتاة يبحث أولا عمن يكون من أهلها أو أسبائها خليقا بمساعدته . ومن الشباب من يفتقدون ثروة الفتاة أو ما قد يؤول إليها من ثروة بعد وفاة والده أو والدتها ، إلى غير ذلك من أغراض بغيضة يبعثها الجشع والأنانية . ونصيحتى إلى هؤلاء أن ينظروا إلى الزواج من ناحيته الصحيحة وأن يتقوا الله فى أرزاقهم ويعلموا أن للزواج قدسية يجب أن تعلو به عن المطامع والمساومات . ولولا أن هذه الناحية خارجة عن نطاق بحثى لوفيتها حقها من الشرح والبيان .

نخرج من هذا الرأى إلى أن الزواج من أوجب الواجبات التى فرضها الله والوطن والجسم على الإنسان . ولننتقل إلى البحث فى السن الملائمة للزواج ، ولننبه إلى أن التبكير فيه أبلغ ضررا من التأخير بالنسبة للفتاة ، وذلك لأن للزواج تكاليف ومقومات تتطلب استكمال النضوج العقلى الذى يساعد على إدارة شؤون البيت وحمل مسئولية الأسرة بكفاية ودراية ، وتقتضى تمام النمو الجسمانى للنهوض بأعباء الحمل ، وما يكتنفه من مشاق لا يقوى عليها الا الجسم السليم الكامل النماء .

كان آباؤنا وأجدادنا — والريفيون منهم بنوع خاص — يعمدون إلى تزويج بناتهم فى سن العاشرة أو الثانية عشرة فكنا نرى هؤلاء الصغيرات يرزحن تحت أعباء الزواج من حمل وولادة ورضاعة وهن بعد فى دور التكوين . وهكذا كانت تطالعهن الحياة البيتية كاشرة الأنياب قبل أن يستوفين حظهن من التربية والتهذيب والدراية والنمو الجسمانى ؛ ولا يخفى ما فى ذلك من الأضرار . والرأى عندى أن السن المناسبة لزواج الفتاة يجب أن تتراوح بين ١٨ و ٢٥ سنة ، أما الفتى فبين ٢٥ و ٣٠ سنة .

شروط الزواج :

ولأنتقل بعد ذلك إلى الكلام على مشكلة النسل ، كثرته وقلته ، وهل فى الاستطاعة وضع ضابط لها يمكن الرجوع اليه .

هذه المشكلة الاجتماعية قد تضاربت فى شأنها الآراء وتشعبت الأقوال . فالبعض يرى الإقلال كى تتاح للوالدين العناية التامة بالأولاد ، وكفالة تعليمهم تعليما صحيحا والإنفاق عليهم فى سهولة ويسر ، والبعض يرى الإكثار من النسل لمصلحة الأمة حتى ولو أنتج الكثير من الفقراء المعسرين الذين يتعذر عليهم إمداد أولادهم بالغذاء والكساء والتعليم الواجب . وهم يستندون فى تأييد مذهبهم هذا إلى بعض الأمثال السائرة التى ليس لها من الحكمة نصيب . ويرى آخرون التزاوج بين الإكثار والإقلال على حسب سعة الوالدين فى الرزق .

والأفضل أن نرجع إلى الحقائق المادية لنخرج منها بالنتيجة المرجوة . وإذن نجد أن من الواجب على كل زوجين أن يورثا الأمة اثنين بعدهما على الأقل حتى لا يتناقص عدد الأمة وتنتهى بها الحال الى الانقراض تدريجيا . وإذا نحن أدخلنا فى حسابنا نسبة الوفيات المتوقعة فى الأطفال ، وكذلك نسبة ما تجب إضافته لزيادة عدد الأمة زيادة مطردة ، وإذا علمنا أن كثيرا من الشبان يموت قبل أو بعد سن الزواج وقبل إنتاج المدد المطلوب من الأولاد ، وأن كثيرا من الرجال والنساء لا يلدون إلا نادرا أو هم مصابون بالعقم ، وجدنا

أن كل زوجين يجب أن يكون لها ثلاثة أبناء أو أربعة على الأقل بحيث إذا قلت النسبة عدت أنانية وامتهانا لحقوق الأمة على الفرد، وإذا زادت أصبحت عبئا تصعب معه كفالة الأبناء مهما ضمنت وسائل الرزق .

ولا يفوتنى أن أشير هنا إشارة عابرة إلى أن بعض الحكومات الأجنبية التى شعرت بالحاجة إلى زيادة عدد سكانها زيادة كبيرة لأغراض حربية أوما إليها، تشجع بكل الوسائل زيادة النسل ولكنها فى نظير هذا تتكفل بالإنفاق على كل وليد بعد الابن الرابع . ومعنى هذا أن هذه النسبة هى الطاقة المعقولة لاحتمال الوالدين .

ولا أود أن يتبادر إلى الأذهان أنى أقصد بتقرير هذه النسبة أن المرأة العاقر أو المقلة فى الولادة ينبغى أن تؤدى "الطريحة" المطلوبة منها رغم أنفها، أو أن الأم الولود يجب ألا تتعدى الحد المقرر لها، بل أقصد ألا تعمل الأم على منع الحمل وفى أحضانها ثلاثة أبناء أو أربعة، اللهم إلا إذا قضت ضرورات اجتماعية بذلك .

يجب علينا قبل الزواج (خطيبا وخطيبة) أن نزور طبيب الأسرة ونسأله رأيه فى زواجنا وصلاحيتنا له من الوجهة الصحية، فان وجد أن عظامنا سليمة وأعضاءنا قادرة على مطالب الزواج ولم يجد فينا شيئا من الأمراض التى يتوارثها الأبناء عن ذويهم، وأذن لنا بالزواج أتممناه، والا أجلناه إلى حين شفائنا وقدرتنا عليه .

وقبل أن نقدم على الزواج يجب أن نختار زوجاتنا من أصلح الفتيات جسما وعقلا وتربية، ونراعى فى السن ما قدمنا من الاعتبارات وما أسلفنا من النصائح، ويجب أن نضمن سلامة الأسرتين كليهما من الأمراض التى تنتقل بالوراثة كالجنون وغيره، وأن نتحرى طيب العنصر بصرف النظر عن الغنى والفقر فقد قال الله تعالى " إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " .

دكتور
على فؤاد